لنعمته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[النساء: ١٠٠] الآية. فما أفجعَ القلوبَ بمصابه، وما أنكى في النفوس [فلول][1] شَبَا شبابه، ولقد كانت الهِمَمُ متوفِّرة على تربيته، وإعلاء درجته، ولكن استأثر الله به قبل ظهور حُسْن الآثار في إيثاره، وبُلي بَدْرُ تَمِّه بسِراره، ولا خفاء أَنَّ إربْل من إنعام البيت الكريم الأتابكي على البيت الزَّيْني منذ سبعين عاماً، لم يحِلُّوا لعقد إنعامهم بها نظاماً، وما رأى الخادمُ أن يخرجَ هذا الموضع منهم، ولا يُصْدَف به عنهم، والأَجلُّ مُظَفَّر الدين كبيرُ البيت وحاميه، والمقدَّم في الولاية بمقتضى وصية أبيه، قد أُنهض ليسدَّ مسَدَّ أخيه.

وكان السُّلْطان لما بلغه موت زين الدين حزن عليه لمكان عِفَّته وشبابه وغُرْبته، وكان تقيُّ الدين عمر عند السُّلْطان، فسأله إضافةَ حَرَّان والرُّها، وما كان بيد زين الدين إلى يده مع حماة وسلمية واللاذقية وجَبَلَة وسُمَيْساط وديار بكر وميَّافارقين، فأعطاه ما طلب، وزاده جُمْلين والمُوَزَّر وسَرُوج ورأس عين، فبعث نوَّابه إليها.

السنة السَّابعة والثمانون وخمس مئة

في صفر سار تقيُّ الدِّين إلى حَرَّان والرُّها والبلاد التي أقطعها، وشَرَطَ عليه السُّلْطان أن يعود عاجلاً، فلما حصل هناك اشرأبتْ نَفْسُه إلى أخذِ البلاد الشَّرْقية والمَوْصل وخِلاط وجميع البلاد، وعَلِمَ صاحبُ خلاط والمَوْصل وماردِين وآمِد والروم، فنفروا عنه، وتقاعدوا عن نُصْرة السُّلْطان، وتعاهدوا أن لا ينجدوه، وكتبوا إلى الخليفة، فساعدهم خوفاً من تقيِّ الدين، وبَعَثَ الخليفةُ إلى بَكْتَمُر خِلَعَ السَّلْطنة، وخيلاً، وتُحَفاً وسلاحاً يساوي خمسين ألف دينار، وعيناً ثلاث مئة ألف دينار مع أزغش مملوك الخليفة صاحب دَقُوقا، وبلغ السُّلْطان، فقامت عليه القيامة، وجمع الأُمراء، وقال: يا قوم، نحن في هذه الشِّدَّة والبلاء، والمسلمون في خُطَّة الهلاك، والخليفة لا يُنفِذ إلينا دِرْهماً، ويحيلنا على التُّجَّار، وينفذ إلى بَكْتَمُر هذا المبلغ؟! ما أثار هذا علينا إلا تقي الدِّين، والله إني لخائفٌ عليه[2]، ويقال: إنه دعا عليه، وقال: لا يفلح بعدها. فمات تقيُّ الدين في رمضان، فكان

(١) زيادة من «كتاب «الروضتين»: ٤/ ١٧٠ .

(٢) كذا في (ح)، ولعلها: لحانق عليه، والله أعلم.

بينه وبين هذا القول ثلاثة أشهر، وقال السُّلْطان: والله لَتُؤْخَذَنَّ عكا، ويُقتَل المسلمون، ويكون هو السبب. فكان كما قال.

وكان سامة الجِيْلي ببيروت، فكتب إليه السُّلْطان بأن يرصد مراكب الفرنج التي تعبر عليه، فأخذ مراكبَ كثيرةً فيها أموالٌ عظيمة حتى قيل: إنَّه أخذ في يومٍ واحد خمس بطس مملوءة مالاً، ولم يُطْلِعِ السُّلْطان على شيءٍ منها، وصحَّ الحديث النَّبوي في هذا الأمر «مَنْ جَمَعَ مالاً من نهاوش أذهبه الله في نهابر»[1] تمزَّقَتْ أمواله، وتغيَّرَتْ أحواله، وخَرِبَتْ ديارُه، ودَرَسَتْ آثاره، وهو الذي سَلَّم بيروت للفرنج.

ذِكْرُ استيلاء الفرنج على عكا: اشتدَّ عليها الحصار في جُمادى الآخرة، وطَمَّ الفرنج الخنادق، ونَصَبوا المجانيق والدَّبَّابات والسَّلالم، ومَلَّ المسلمون من السَّهر والتعب والقتال، وأنكت فيهم الجراحات، وكان الفرنج قد صنعوا تلاً من ترابٍ يقدِّمونه يسيراً يسيراً، ويقاتلون من ورائه، لأن المسلمين أحرقوا أبراجهم ومجانيقهم ودباباتهم، فعملوا هذا التَّلَّ وسَرْدَقُوه، فصار للمقاتلة مثل الحائط.

وجاء كتاب أهل عكا إلى السُّلْطان يقولون: قد عَجَزْنا، وما بقي إلا طلب الأمان والتَّسليم. فلم يَرِدْ على السُّلْطان خبرٌ أشدُّ منه، لأَنَّه كان قد نقل إلى عكا جميع سلاح السَّاحل والقدس ودمشق وحلب ومِصْر، فقال للعسكر: إني هاجم على القوم من البر، ويخرج المسلمون من البلد، فقالوا: ما هذا مَصْلحة، قد ترى ما بين أيدينا من الخنادق [وما لنا سبيل إلى ذلك][2]، والرَّجَّالة كالسُّور [بين أيدينا][2]، وبعدهم الخَيَّالة، وهم أضعافُ عددنا، ولم يوافقوه.

ولما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب، والسُّلْطان قد ركب والعساكر بأَسْرها، وإذا بأعلامِ الفرنج قد طَلَعَتْ على عكا وقت الظُّهْر، وصاح الفرنج صيحةً عظيمة، وطلع

(١) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٤٢١) و(٤٢٢)، والرامهرمزي في «الأمثال» (١٣٩) مرسلاً، نهاوش: أي من غير حله، كما تنهش الحية من هاهنا وهاهنا. ونهابر: مهالك. أي: أذهبه الله في مهالك وأمور متبددة. «اللسان» (نهر).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

عَلَمٌ على القلعة، وآخر على مئذنة الجامع، وملؤوا الأبراج بالأعلام، ودخلوا عكا وأسروا مَنْ كان بها، واستولوا على جميع ما كان فيها، وكانوا قبل ذلك قد قرَّروا على أهلها مئتي ألف دينار، وألفي أسير، وصليب الصَّلبوت، ويخرج مَنْ بها من المسلمين سالمين بأموالهم وأهليهم، وأخبروا السُّلْطان فأجابهم، فقال الفرنج: سَلِّموا إلينا المال والأسارى، واقنعوا بأماننا حتى نُسَلِّمَ إليكم أصحابكم. فقال السُّلْطان: وأيُّ أمانةٍ لكم؟ ونخاف من غَدْركم، والبلد وما فيه قد صار في أيديكم، وتوقف الحال.

فلما كان يوم السبت سابع عشرين رجب خَرَجَ الفرنج من عكا، ووقفوا وسط المرج بين تل كيسان والعياضية، وأحضروا المُسْلمين موثقين في الحبال، وكانوا زهاء عن ستة آلاف مسلم، وحملوا عليهم حملةَ رجلٍ واحد ضَرْباً وطعناً، فقتلوهم، ويَزَكُ[1] المُسْلمين يشاهدوهم، ولا يعلمون لبُعْدهم ما يصنعون، ورجعوا إلى عكا، فلما جاء يَزَكُ المُسْلمين إلى المكان في اللَّيل، وجدوا القَتْلى في مصارعهم، فعادوا، وأخبروا السُّلْطان، فبكى بكاءً شديداً، ويقال: إنَّه لَطَمَ على رأسه، ونَتَفَ لحيته، ووقَعَ العويل والبكاء في العسكر، ورَحَلَ السُّلْطان عن منزله.

ذِكْرُ ما جرى بعد انفصالِ أمر عكا:

لما كان غُرَّة شعبان يوم الأحد رحل الفرنج من عكا ومقدَّمهم الإنكتار، وكان ملكاً عظيماً، فسار في البر بالفارس والرَّاجل، والمراكب في البحر معهم فيها أزوادهم، فنزلوا على نهر القصب، وكانوا ثلاثة أقسام: الملك العتيق، واسمه جفري في المقدَّمة مع السَّاحلية، والإنكتار مع الفرنسيسية في الوسط، وأولاد السِّتّ أصحاب طبرية في السَّاقة، والسُّلْطان في أعراضهم، وجَرَى بينهم قتال على نهر القصب، قتل فيه أياز الطَّويل مملوك السُّلْطان، وكان فارساً عظيماً، في دَبُّوسه عشرة أرطال حديد، كان يَضْرِبُ الفارس فيهشِّمه، فقاتل في ذلك اليوم قتالاً عظيماً، وقتل من الفرنج جماعةً، فتقنطَرَ به فرسُه، فقتلوه، فحَزِنَ السُّلْطان عليه، ودفن على تلٍّ عالٍ مُشْرف على بركة،

(١) اليزك: كلمة فارسية تعني طلائع الجيش، وهي جماعة كانت ترسل للاستكشاف، انظر عنهم «الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين» ص ١٧٧-١٨٠.

وطلب الإنكتار الاجتماع بالملك العادل، فركبا، وكلٌّ واحدٍ في نفرٍ يسير، فقال الإنكتار: إنما نحن جِئْنا لنُصْرة إفرنج السَّاحل، فرُدُّوا عليهم ما أخذتم، واحقنوا دماء الفريقين. فقال العادل: حتى أجتمعَ بالسُّلْطان.

ذِكْرُ وقعة أرسوف:

لما كان يوم السبت رابع عشر شعبان أصبح الفرنج على تعبئة، وصفَّ السُّلْطان عساكره، فاندفع جماعةٌ من المسلمين، وثَبَتَ العادل وقيماز النَّجْمي وعسكر الموصل، وكان مقدَّمهم علاء الدين خُرَّم شاه ولد عز الدين مسعود، فلقبه السُّلْطان [في ذلك اليوم][(١)] الملك السعيد، ثم عادت عليهم عساكر المُسْلمين، فلولا حيطان أرسوف، لحلَّت بهم الحتوف.

وقال ابن القادسي: انهزمَ صلاحُ الدين في ذلك اليوم، ورجع في عسكر المَوْصل، وكانوا في ألفِ فارس، فقتل من الكفار مئة ألف وأربعين ألفاً.

قال المصنف رحمه الله: هذه من هَنَات ابنِ القادسي، [(٢)] أما قوله: إن صلاح الدين انهزم، فما انهزم صلاح الدين قط في ذلك اليوم، ولا في غيره، وقد حكى الواقعة القاضي ابن شداد، وكان حاضرها، وليس المخبر كالعيان، فقال: ما انهزم السلطان،] وإنما بقي في سبعة عشر رجلاً وأعلامه واقفة، وكوساته تخفق، فلما رأى ما نزل بالمُسْلمين صاح فيهم، وحَرَّضهم، ووقف في طُلْبه، فلما رآه النَّاس [في طلبه][(٣)] ثابَتِ العساكرُ إليه، فتراجع الفرنج إلى منزلتهم، وقتل [من الفريقين جماعة.

وأما قول ابن القادسي: إنه قتل من الكفار مئة وأربعين ألفاً، فإن الفرنج ما بلغت عدتهم يوم أرسوف ثلاثين ألفاً. قال القاضي: قتل][(٣)] منهم خمسون إفرنجياً، وقيل: أقل.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) في (ح): فإنَ صلاح الدين ما انهزم قط، وعدة الفرنج يوم أرسوف، ما بلغت ثلاثين ألفاً، وقد قال ابن شداد رحمه الله، وكان حاضراً، ما انهزم صلاح الدين، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[ذكر خراب عسقلان][1]:

وسار السُّلْطان، فنزل عسقلان، فأجَمَعَ الأمراءُ على خرابها، فبكى السُّلْطان وقال: والله إن فقد أولادي أهون علي من خرابها [أو من نقض حجر منها][1]. قالوا: أَخْرِبْها وإلا جرى عليها ما جرى على عكا، وهذه بين القُدْس ويافا، ولا يمكن حفظ الموضعين، [فاختر أيهما شئت][1]. وجاء الخبر بنزول الفرنج على يافا، فأمر بخراب عَسْقلان، وكان فيها شيءٌ كثير، فأباحه للمسلمين، فنهبوه، وأخربوا بعض السور، والسُّلْطان يبكي وينتحب.

وبعث الإنكتار يعرض على العادل أن يزوِّجَه بأُخته، فأجاب [العادل][1]، فاجتمع الأقسَّاء، وأوقفوا الحال، وقالوا: إن تنصَّر العادل، ودخل في دينها وإلا غَضِبَ المسيح، [على الإنكتار، فتوقف الحال إلا على ما ذكر الأقساء][1]، وكان الإنكتار يجتمع بالعادل [في][1] كلِّ وقتٍ، ويتهاديا، [وكان][1] خديعة من الاثنين، وبعث الإنكتار إلى السُّلْطان يقول: لابُدَّ من القُدْس وصليب الصَّلبوت، فادْفَعْهُما إلينا، ولك من قاطعِ الأردن إلى ناحية الشَّرْق. فقال السُّلْطان: أما القُدْس فهو عندنا أعظمُ مما هو عندكم، لأنه مسرى نبينا ﷺ، ومجمع الملائكة، فلا يتصور أن نَنْزِلَ عنه، وأما صليب الصَّلبوت فهلاكه عندنا قربة عظيمة، فلا يجوز أن نفرطَ فيه إلا لمصلحةٍ راجعة إلى الإسلام هي أوفى منه، فقال إنكتار للعادل: اجمع بيني وبين السُّلْطان، فقال له: الملوك إذا اجتمعوا تقبح الحرب بينهم بعد ذلك، فإذا انتظم الصُّلْح حَسُنَ الاجتماع.

وعاد الفرنج إلى الرَّملة، وطَلَعَ السُّلْطان إلى القدس في ذي القَعْدة، وأخذ في تحصينه، [وشرع][1] ينقل الحجارة هو وأولاده على أكتافهم، وأُمراؤه وأجناده [كذلك][1]، والقضاة والعلماء والفقراء والعامة والخاصَّة.

وفيها وَرَدَ كتابُ الخليفة يطلب الفاضل ليقرِّر معه أموراً، فاعتذر السُّلْطان بكثرةِ أمراض الفاضل، وضَعْفه عن الحركة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها عزل السُّلْطان أبا حامد محمد بن عبد الله ابن أبي عَصْرون عن قضاءِ دمشق، وولى محيي الدين بن زكي الدين، و[قالوا: إنَّ][1] سببَ عزله ابنَ أبي عَصْرون مداخلتُه الجُنْد، واشتغاله [بما يشتغل به الأمراء من][1] اتخاذ الخيول والمماليك الترك ومباشرة الحروب، ومعاملة الأمراء ومداينتهم، فتبرَّم السُّلْطان منه [، وعزله][1]، وكان قد وَقَعَ في يده أسيرٌ من كبار الفرنج، فطلبه السُّلْطان منه ليفادي به بعضَ من يعزُّ عليه، فلم تسمح نَفْسُه به، فقال السُّلْطان: بالثمن. فامتنع، وباعه للفرنج، فغَضِبَ السُّلْطان، فعزله عن القضاء، وحجبه عن الدخول عليه، فقال ابنُ النَّحاس يُسْلِيه: [من الكامل]

لا تَجْزَعَنْ مِنْ حادثٍ بمُلِمَّةٍ ... أرأيتَ قَبْلَكَ ليثَ غابٍ يجزعُ

منها:

واخترْ لنفسِكَ مِنْ علومكَ مَنْصِباً ... وولايةً من حُكْمِها لا تُخْلَعُ
فالبرُّ[2] تُنْزَعُ منه كلُّ ولايةٍ ... إلا ولايةَ عِلْمِهِ لا تُنْزَعُ
وافخرْ بجدِّك بل بمجدِك واطَّرِحْ ... قَدْرَ الزَّمانِ فإنَّ قَدْرَكَ أَرْفَعُ

وحجَّ بالنَّاس من بغداد طاشْتِكِين.

وفيها توفي

الموفق أسعد بن المِطْران الطَّبيب[3]

كان نصرانياً، أَسْلَم على يد السُّلْطان، وكان غزير المروءة، حَسَنَ الأخلاق، كريم العشرة، جَوَاداً، متعصِّباً للنَّاس عند السُّلْطان، ويقضي حوائجهم، وصحبه صبيٌّ [من المسلمين][1]، حَسَنُ الصُّورة اسمه عمر، فأحسن إليه، وكان الموفق يحبُّ أهلَ البيت ويبغض ابن عنين [الشاعر][1] لخُبْثِ لسانه [وقبح هجائه، وثلبه لأعراض الناس][1]، ويحرِّضُ السُّلْطان على نفيه [من البلاد][1]، وقال: أليس هو القائل: [من المنسرح]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كذا في (ح)، ولعلها: فالحَبْر، والله أعلم.

(٣) له ترجمة في «الفتح القسي»: ٥٧٦، و«كتاب «الروضتين»: ٤/ ٢٩٣، و«طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة: ٦٥١ـ٦٥٩، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٤٠ـ٤٣، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١١٣.

سُلْطانُنا أعرجٌ وكاتِبُهُ أُعيمشٌ[١] والوزيرُ منحدِبُ

فهجاه ابنُ عُنين وقال: [من البسيط]

قالوا الموفق شيعيٌّ فقلتُ لهم هذا خلافُ الذي للنَّاس منه ظَهَرْ

فكيف يجعلُ دينَ الرِّفْضِ مَذْهَبَهُ وما دعاه إلى الإسلامِ غيرُ عُمَرْ[٢]

وكان الموفق يعود الفقراء المرضى، ويحملُ إليهم من عنده الأشربة [والأدوية][٣] حتى أجرة الحمام، وزوَّجه السلطان بجارية [يقال لها جوزة، وكانت من حظايا السلطان، ونقل معها جهازاً عظيماً، وقال ليلة عرسها: احملوا إليه المطبخ، فنزل الموفق جامع دمشق ليصلي العصر، فجاءت إليه صوفية خانكاه البلد، وطلبوا منه سماعاً في الخانكاه، فقال: سمعاً وطاعة، وقام، فدخل إلى الخانكاه التي للصميصاتي، واستدعى مطبخ السلطان من دار العقيقي، وكان السلطان قد قال له: اعمل العرس بدار العقيقي، وأحضر المغاني والحلاوة الكثيرة إلى الخانكاه][٤]. ونزلت العروس مع حظايا السُّلْطان إلى دار العقيقي، فأقمن طول الليل ينتظرنه وهو عند الصُّوفية وهم يرقصون، وما علموا أنَّها ليلة عرسه [وهو فاستحى أن يعرفهم،][٣]، فلما كان آخر الليل قيل للصُّوفية: أيش عملتم؟! الرجل الليلة عريس على جارية السلطان [، والساعة يبلغ السلطان فيغضب][٣]، فجاؤوا إليه بأجمعهم واعتذروا، وسألوه أن يمضي، فقال: لا والله، إلى الصَّباح، وبلغ السلطان فقال: أُلام على محبة هذا وتقريبه!

---

(١) في النسخ الخطية و«النجوم الزاهرة»: «أعمش»، ولا يتزن به البيت، وقد سقط هذا البيت من ديوان ابن عنين: ٢١٠، واستدركه محققه من «مرآة الزمان»، كما أشار في الحاشية، وأثبت من عنده «ذو عمش»، وما أثبتناه هي رواية البيت في «الوافي بالوفيات»: ٩/ ٤١.

(٢) ديوان ابن عنين: ١٣٣ـ١٣٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ح): وزوَّجه السلطان بجارية من حظاياه، يقال لها جوزة، ونقل معها جهازاً عظيماً، وحمل إليه المطبخ ليلة عرسه، فنزل الموفق إلى جامع دمشق ليصلي العصر، فجاء إليه الصوفية، وطلبوا منه سماعاً في الخانكاه، فدخل الصميصاتي، واستدعى مطبخ السلطان من دار العقيقي المعدة للعرس، وأحضر المغاني والحلاوة الكثيرة، ونزلت العروس مع حظايا السلطان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكانت وفاته في ربيع الأول بدمشق، ودفن بقاسيون على قارعة الطريق عند دار زوجته جوزة، ولما مات اشترت [زوجته][١] داراً، وبنت إلى جانبها مسجداً، وعمرت له تربة، وهي تعرف بدار جوزة، [ولما قدمت الشام في سنة ثلاث وست مئة[٢] كانت جوزة باقية][١]، وكانت صالحة زاهدة عابدة.

الحسين بن حمزة بن الحسين[٣]

أبو القاسم، قاضي حماة. كان فاضلاً جواداً سَمْحاً، لا تَنْزل قِدْرُه من النَّار، يضيف الخاص والعام، وما اجتاز بحماة أحدٌ من الملوك والأكابر إلا وأضافه، وكان صلاحُ الدين يحبُّه ويحترمه، وكذا العادل وتقي الدين، [وبلغني أَنَّ العادل اجتاز بحماة][٤]، فأرسل [إلى القاضي][٥] يقول: أُريد الحمام خلوة. فأخلاه، فما خرج [العادل من الحمام][١] إلا وقد أعدَّ له من الفواكه والأطعمة والحلاوات ما كفاه وأصحابه.

وكان لا يقبل برَّ أحد، لا صلاح الدين ولا غيره، وكان قد تزوَّج بدمشق خطلخ خاتون بنت سودكين، فأولدها ابنة وسماها زينب، ومات القاضي وهي صغيرة، فلما بلغت تزوَّجها إسماعيلُ بنُ قرباص من أهل حماة، ثم مات عنها.

قال المصنف رحمه الله: فتزوجتُها سنة عشرين وست مئة، وتوفيت سنة ثلاث وأربعين[٦] وست مئة وأنا ببغداد، فدفنوها في تربتي بقاسيون.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كذا قال هنا، وقد ذكر في مواضع كثيرة أنه قدم دمشق سنة (٦٠٠هـ)، وبقي مقيماً فيها حتى أواخر سنة (٦٠٣هـ)، حين عاد إلى بغداد عن طريق حلب. انظر حوادث سنة (٦٠٠هـ) و(٦٠٣هـ) و(٦٠٤هـ) و(٦١٧هـ) من هذا الكتاب.

(٣) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٢/ ٣٦١.

(٤) في (ح): واجتاز العادل بحماة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ح): إليه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ح): «وعشرين»، والمثبت من (م) و(ش).

وكذا قال هنا، وذكر في موضع آخر أنه كان في بغداد سنة (٦٤٤هـ)، وبقي بها حتى شهر صفر من سنة (٦٤٥هـ)، انظر حوادث سنة (٥٧٧هـ) و(٦٤٤هـ) من هذا الكتاب.

وخلَّف أبو القاسم ولداً ذكراً، وللولد أولاد، [ومات القاضي وهو على قضاء حماة][1].

سليمان بن جَنْدَر[2]

من أكابر أمراء حلب، ومشايخ الدولتين النُّورية والصَّلاحية، [وهو والد صديقنا علي بن سليمان][3]، شهد مع السُّلْطان حروبه كلَّها، وأشار بخراب عَسْقلان [لتتوفر العناية على حفظ القدس][1]، ولما صَعِدَ السُّلْطان إلى القُدْس مرض سليمان، فطلب المسير إلى حلب، فأَذِنَ له السُّلْطان، فسار، وتوفي بغباغب في أواخر ذي الحجة، وحُمِلَ إلى حلب، فدفن بها.

عمر بن شاهنشاه بن أيوب[4]

الملك المُظَفَّر تقي الدين، فذكرنا بعضَ أخباره مفرَّقة، وآخر أمره طَمِعَ في مملكة الشَّرق، فنفرت عنه وعن صلاح الدين قلوبُ السَّلاطين، وسار من ميَّافارقين إلى خِلاط، فالتقاه سيف الدين بَكْتَمُرشاه أرمن صاحب خلاط، فكسره تقي الدين، فعاد إلى خِلاط، وحاصر تقي الدين منازكرد، وكان قد قيل له: مَنْ ملك منازكرد ملك خلاط، فأقام أياماً يضربها بالمجانيق، وهم يعصبون رؤوس الأبراج بالعصائب يستهزؤون به، فمرض في رمضان، وتوفي يوم الجمعة العاشر منه[5]، وكان معه ولده محمد، ويلقب بالمنصور، فكتم موته، وحمله في مِحَفَّة، وأظهر أَنَّه مريض إلى ميَّافارِقين، وبُنيت له مدرسة بظاهر حماة، ثم نُقِلَ إليها، وكان السُّلْطان يكره ابنه محمداً، فانحلَّ أمره، فدخل العادل في أمره، فصلح حاله على مَضَضٍ من السُّلْطان، ثم أُخذت من ابنه البلاد بعد ذلك، واقتصر على حماة، وكان تقيُّ الدِّين شجاعاً

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الفتح القسي»: ٢٥٩ ، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٩٢ ، و«تلخيص مجمع الآداب»: ج٤/ق١/ ٥٨١ .

(٣) في (م) و(ش): علم الدين بن سليمان، وهو وهم، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٦٢٢هـ).

(٤) أخباره مبثوثة في تواريخ تلك الفترة، ولا سيما في «كتاب الروضتين».

(٥) ذكر العماد أن وفاته يوم الجمعة تاسع عشر رمضان، انظر «الروضتين»: ٤/ ٢٩٠ .

مِقْداماً، جَوَاداً فاضلاً، شاعراً فصيحاً، عاشَرَ العلماء والأدباء، وتخلَّق بأخلاقهم، واكتسب من أوصافهم، وله ديوان، فمنه: [من البسيط]

قلبي وإن عَذَّبوه ليس يَنْقَلِبُ ... عن حُبِّ قومٍ متى ما عَذَّبوا عَذُبُوا
راضٍ إذا سَخِطُوا دانٍ إذا شَحَطُوا ... هم المُنى ليَ إنْ شَطُّوا وإن قَرُبوا[1]

وقال: [من الوافر]

إذا حَثُّوا مطاياهم لِبَيْنٍ ... فسائِقُها لأحشائي يَحُثُّ
قتيلُكُمُ وحقِّ الوَصْلِ صالٍ ... جحيمَ الهَجْرِ فابْكُوه وأُرثوا
جديداً كان حَبْلُ الوَصْلِ دَهْراً ... فمذْ هجروا فحبلُ الوَصْلِ رَثُّ
فؤاد الصَّبِّ بالهِجْرانِ مَيْتٌ ... ووَصْلُكُمُ له نَشْرٌ وبَعْثُ[2]

وقال: [من السريع]

قد صاحَ حادي عِيْسِهِمْ بالنَّوى ... فصَمَّ سَمْعي حين نادى وصاحْ
صافحتُهُ والقَلْبُ في أَسْرِهِ ... فَسَلَّ بالَّلحْظِ عليَّ الصِّفاحْ
وقال لي أنتَ قتيلُ الهوى ... قلتُ كذاك أثخنتني الجِراحْ[3]

وقال: [من الطويل]

دمشقُ سَقَاكِ اللهُ صوبَ غمامةٍ ... فما غائِبٌ عنها لديَّ رشيدُ
عسى مُسْعِدٌ لي أَنْ أبيتَ بأَرْضِها ... ألا إنَّني لو صَحَّ لي لسعيدُ[3]

وقال: [من الطويل]

يقولون لي إنَّا سنرجِعُ من شبرا ... ومَنْ لي بأنِّي لا أُفارِقُهُمْ شِبْرا
وكيفَ احتيالي والهوى قائدٌ لهم ... فؤاداً أبى أَنْ يقتني بَعْدَهُمْ صَبْرا
فَرِقُّوا لقلبٍ قَلَّبَتْهُ يَدُ النَّوى ... وعَيْنٍ عليكمْ بعد بُعْدِكُمُ عَبْرَى[4]

---

(١) «الخريدة» بداية قسم شعراء الشام: ٨٧ ـ ٨٨.
(٢) «الخريدة» بداية قسم شعراء الشام: ٩٠.
(٣) «الخريدة»: ٩١ - ٩٥.
(٤) «الخريدة» ٩٧ـ١٠١.

يـا نـاظِـرَيْـه تَـرَفَّـقـا ... مـا فـي الـورى لـكـمـا مـبـارِزْ
هَـبْـكُـمْ حَـجَـزْتُـمْ أنْ أرا ... ه فَـهَـلْ لـقـلـب الـصَّـبِّ حـاجِـزْ[1]

وقال: [من الطويل]

حبـائـبَـنَـا شَـطَّ الـمَـزَارُ وأَوْحَـشَـتْ ... ديـارٌ عَـهِـدْنـاهـا بـكُـنَّ أَوَانـسـا
وحَقِّ الـهوى لا غَـيَّـرتـني يـدُ الـنَّـوى ... ولا كـنـتُ ثوبَ الغَدْرِ فيكُنَّ لابسا[1]

وقال: [من الخفيف]

كـلَّ يـومٍ يَـسْـعـى إلـى الـمُـلْـكِ قـومٌ ... فـي ازديـادٍ وعُـمْـرُهـمْ فـي انـتـقـاصِ
شَـرَكٌ هـذه الأمـانـي فـيـا لـلَّـ ... ه كـم واقـعٍ بـغـيـرِ خـلاصِ[1]

وقال: [من الرمل]

أنـا راضٍ بـالـذي يُـرْضـيـهُـمُ ... لـيـتَ شِـعْـري بـتـلافـي هـل رَضُـوا
أَقْـرَضُـونـي زمـنـاً قُـرْبَـهُـمُ ... واسـتـعـادوا بـالـنَّـوى مـا أَقْـرَضُـوا[1]

وقال: [من الوافر]

أرى قـومـاً حَـفِـظْـتُ لـهـم عُـهـوداً ... فـخـانـونـي ولـم يَـرْعَـوْا حِـفـاظـا[1]
أَرِقُّ لـهـم مـحـافـظـةً فـألـقـى ... لـهـمْ خُـلُـقـاً وأفـئـدةً غِـلاظـا

وقال يمدح عمه صلاح الدين، رحمه الله: [من الكامل]

خيرُ الـملوكِ أبو الـمُظَفَّرِ يوسفُ ... مـا مِـثْـلُ سيرتِـهِ الـشَّـريـفـةِ تُـعْـرَفُ
لـو سُـطِّـرَتْ سِـيَـرُ الـمـلوكِ رأيـتَـهـا ... ديـوانَ شِـعْـرٍ وَهْـي فـيـهـا مُـصْـحَـفُ
مـلـكٌ يـبـيـتُ الـدَّهْـرُ يُـرْعِـدُ هـيـبـةً ... مـنـه ولـيـس يـخـافُـهُ مـن يُـنْـصِـفُ[1]

وقال: [من الطويل]

ألـم تـريـا نَـفْـسـي وقـد طَـوَّحَـتْ بـهـا ... عُقابُ السُّرى في البِيْدِ من رأسِ حالقِ
يـسـيـرُ أمـامَ الـيَـعْـمَـلاتِ كـأنَّـمـا ... حَـكَـتْ أَلِـفـاً قُـدَّام أَسْـطُـرِ مـاشِـقِ
تَـراهـا إذا كَـلَّـتْ تَـئِـنُّ صـبـابـةً ... إلـى مـنـزلٍ بـيـن الـلِّـوى والأبـارقِ
فـقـلـتُ لـهـا سـيـري ولا تُـظْـهـري وجًـى ... فـبـيـن ضـلـوعـي لاعجُ الشَّوْقِ سـائـقـي

(١) «الخريدة»: ١٠١ـ١٠٥.

وها أنتَ قد فارقتَ مِثْلي جهالةً ستذكُرُ يوماً سِيْرتي وخلائِقي[١]

وقال: [من الكامل]

زعَمُوا بأَنَّكِ قد كَرِهْتِ وصالَنا حاشاكِ مما رَجَّموا حاشاكِ
من لي بأيَّامِ الشَّبيبة والصِّبا أيامَ كنتُ من الزَّمانِ مُناكِ[١]

وقال: [من الطويل]

وقد زعموا أني سَلَوْتُ وشاهِدِي على فَرْطِ وَجْدي زفرةٌ وعويلُ
وإنَّ دواعي الشَّوْق وَهْي خفيفةٌ عليكمْ لها عِبءٌ عليَّ ثقيلُ[١]

وقال في صلاح الدين رحمه الله: [من الكامل]

أصلاحَ دينِ اللهِ أمرُك طاعةٌ فَمُرِ الزَّمانَ بما تشاءُ ليَفْعلا
فكأنَّما الدُّنْيا ببهجةِ حُسْنها تُجْلى عليَّ إذا رأيتُك مُقْبلا[١]

وقال: [من الطويل]

أأحبابَنا إنْ تَسْأَلوا كيف حالُنا فإنَّا على حِفْظِ المودَّةِ ما حُلْنا
حَلَلْتُمْ بقلبي والدِّيارُ بعيدةٌ ومِلْتُمْ عن العَهْدِ القديمِ وما مِلْنا
وأنساكُمُ حِفْظَ العهودِ مَلالُكُمْ وعُوِّضْتُمُ بالغَيْرِ عنا وما اعْتَضْنا
وإنِّي لأرعاكُمْ على بُعْدِ دارِكُمْ وإنْ كان منكُمْ أصلُ ذا الغَدْرِ لا مِنَّا[٢]

وقال: [من الطويل]

أأحبابَنا إنَّ الوُشاةَ إليكُمُ سَعَوْا لا سَعَتْ أقدامُ من باتَ واشِيا
يرومُون بتَّ الحَبْلِ بيني وبينَكُمْ فلا بُلِّغوا فيما أرادوا الأمانيا[٣]

محمد بن عمر بن لاجين[٤]

حسام الدين ابن ستِّ الشَّام؛ أُخت صلاح الدين.

---

(١) «الخريدة»: ١٠١ـ١٠٥.

(٢) «الخريدة»: ١٠٨.

(٣) «الخريدة»: ١١٢.

(٤) له ترجمة في «الفتح القسي»: ٥٧١، و«الروضتين»: ٤/ ٢٩١، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ٢٤٨، وقيل اسمه: عمر بن لاجين. انظر «الروضتين»: ٣/ ٦٥، وقد نبه على ذلك الصفدي في «الوافي بالوفيات».

كان صاحبَ نابُلُس، وكان شجاعاً مِقْداماً جَوَاداً، توفي ليلة الجمعة تاسع رمضان بدمشق، وبينه وبين وفاة تقي الدين ساعات، ففُجِعَ السُّلْطان بابنِ أخيه وابن أُخته في يومٍ واحد، ودفن بالتُّربة التي أنشأتها والدته بالعوينة بظاهر دمشق.

يحيى السُّهْرَوَرْدِي المقتول بحلب[1]

كان يعاني علوم الأوائل والمنطق والسِّيمياء وأبواب النارنجيات، فاستمال بها خَلْقاً كثيراً، وتبعوه، وله تصانيف في فنه، منها «الرقم القُدْسي» في تفسير القرآن على رأي الأوائل، و«اللمحات» في المنطق، و«لب البحث»، وَوَرَدَ إلى حلب، واجتمعَ بالملك الظَّاهر غازي، فأعجبه كلامه، فمال إليه، فكَتَبَ أهل حلب إلى السُّلْطان: أدرك ولدك وإلا تلف، فكتب السُّلْطان إلى الظَّاهر بإبعاده عنه، فلم يُبْعده، فكَتَبَ إليه: اجمعِ الفقهاء لمناظرته، فجمعهم وناظروه، فظَهَرَ عليهم بعبارته، فقالوا: إنَّك قلتَ في بعض تصانيفك: إنَّ الله قادر على أن يخلق نبيًّا، وهذا مستحيل، فقال لهم: فما وجه استحالته؟ فإنَّ القادر هو الذي لا يمتنع عليه شيءٌ. فتعصَّبوا عليه، فَحَبَسَه الظَّاهر، وجَرَتْ بسببه خطوبٌ وإشاعات، [وكان][2] دنيء الهِمَّة، زريّ الخِلْقة، دَنِسَ الثِّياب، وَسِخَ البَدَن، لا يغسل له ثوباً ولا جِسْماً، ولا يداً من زُهومة، ولا يقصُّ ظُفُراً ولا شَعْراً، وكان القَمْل يتناثر على وَجْهه، ويسعى على ثيابه، وكل مَنْ رآه يهربُ منه، وهذه الأشياء تنافي الحكمة والعقل والشرع.

قال ابنُ شدَّاد: ولما بلغ السُّلْطانَ أمره أَمَرَ ولده الملك الظاهر بقَتْله، فلما كان يوم الجمعة بعد الصَّلاة سَلْخ ذي الحِجَّة أُخرج من الحبس ميتاً، ومما ينسب إليه من الشِّعْر: [من الكامل]

أبـــداً تَـــحِـــنُّ إلـــيـــكُـــمُ الأرواحُ ووصـــالُـــكُـــمْ رَيْـــحـــانُـــهـــا والـــرَّاحُ

(١) هو يحيى بن حبش بن أميرك، له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٩/ ٣١٤ـ٣٢٠ ، «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٦٨ـ٢٧٤ ، و«طبقات الأطباء»: ٦٤١ـ٦٤٦ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٠٧ـ٢١١ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

وقلوبُ أهلِ وِدَادِكُمْ تَشْتاقُكُمْ ... وإلى كمالِ جمالِكُمْ ترتاحُ
وارحْمَتَا للعاشقِيْنَ تكلَّفوا ... سَتْر المحبَّةِ والهوى فَضَّاحُ
بالسِّرِّ إنْ باحوا تُباح دماؤهم ... وكذا دماءُ البائحينَ تباحُ
وإذا هُمُ كتموا تحدَّثَ عنهم ... عند الوُشاةِ المدمعُ السَّحَّاحُ
وبَدَتْ شواهدُ للسَّقام عليهُمُ ... فيها لِمُشْكِلِ أمرهم إيضاحُ
خَفَضَ الجَنَاحَ لكُمْ وليس عليكُمُ ... للصَّبِّ في خَفْضِ الجَنَاح جُناحُ
فإلى لقاكُمْ نَفْسُهُ مُرْتاحةٌ ... وإلى رضاكُمْ طَرْفُهُ طَمَّاحُ
عُودوا بنور الوَصْلِ من غَسَقِ الجفا ... فالهجر ليلٌ والوِصالُ صَبَاحُ
صافاهم فصفوا له فقلوبُهُمْ ... في نورها المِشْكاةُ والمِصْباحُ
وتمتَّعوا فالوقتُ طاب بقُرْبكم ... راقَ الشَّرابُ ورقَّتِ الأقداحُ
يا صاحِ ليس على المحبِّ ملامةٌ ... إنْ لاحَ في أُفق الوصالِ صباحُ
لا ذنبَ للعُشَّاقِ إنْ غلب الهوى ... كتمانَهُمْ فنمى الغرامُ وباحوا
سمحوا بأنفسهمْ وما بخلوا بها ... لمَّا دَرَوْا أَنَّ السَّماحَ رباحُ
ودعاهُمُ داعي الحقائقِ دعوةً ... فغدوا بها مستأنسين وراحوا
ركبوا على سنن الوفا فدموعُهُمْ ... بحرٌ وشِدَّةُ شَوْقهم مَلَّاحُ
والله ما طلبوا الوقوفَ ببابه ... حتى دُعوا وأتاهُمُ المِفْتاحُ
لا يطربونَ بغير ذِكْرِ حبيبهمْ ... أبداً فكلُّ زمانهم أفراحُ
حَضَروا وقد غابتْ شواهِدُ ذاتهم ... فتهتَّكُوا لمَّا رَأَوْه وصاحوا
أفناهُمُ عنهمْ وقد كُشِفَتْ لهم ... حجبُ البقا فتلاشتِ الأرواحُ
فتشبَّهوا إن لم تكونوا مِثْلَهم ... إنَّ التَّشَبُّهَ بالكرامِ فلاحُ
قُمْ يا نديمُ إلى المُدَام فهاتها ... في كأسها قد دارتِ الأقداحُ
من كَرْمِ إكرامٍ بدنٍّ ديانةٍ ... لا خمرة قد داسها الفلاح

قلت[1]: وقد وقفتُ على ترجمته في «وَفَيات الأعيان» تصنيف القاضي شمس الدين ابن خَلِّكان: كان المذكور من علماء عَصْره، قرأ الحكمة وأُصول الفِقْه على الشيخ

(١) القائل هو قطب الدين اليونيني؛ مختصر «مرآة الزمان».

مجد الدِّين الجِيْلي بمدينة المراغة من أعمال أَذْرَبيجان إلى أن بَرَعَ فيهما، وهذا مجدُ الدِّين هو شيخ فخر الدين الرَّازي، وعليه تخرَّج، وبصحبته انتفع، وكان إماماً في فنونه.

وقال في «طبقات الأطباء»: وكان السُّهْرَوَرْدِي أوحدَ أهلِ زمانه في العلوم الحكمية، جامعاً للفنون الفلسفية، بارعاً في الأُصول الفقهية، مفرطَ الذَّكاء، فصيحَ العبارة، وكان عِلْمُه أكبرَ من عَقْله، ثم ذكر أنه قُتِلَ في أواخر سنة ستٍّ وثمانين وخمس مئة، والصَّحيح ما سنذكره في آخر هذه الترجمة إنْ شاء الله تعالى، وعمره نحو ستٍّ وثلاثين سنة، ثم قال: ويقال: إنه كان يعرف علم السّيمياء.

وحكى بعضُ فقهاء العجم أَنَّه كان في صحبته وقد خرجوا من دمشق. قال: فلما وَصَلْنا إلى القابون؛ القرية التي على باب دمشق في طريق مَنْ يتوجَّه إلى حلب لقينا قطيعَ غنمٍ مع تركمان، فقلنا للشَّيخ: يا مولانا، نريد من هذه الغنم رأساً نأكله. فقال: معي عشرة دراهم، خذوها واشتروا بها رأسَ غنم. وكان هناك تركماني، فاشترينا منه رأساً بها، ومشينا قليلاً، فلحقنا رفيق له، فقال: رُدُّوا الرأس، وخذوا أصغر منه، فإنَّ هذا ما عرف يبيعكم، يساوي هذا الرأس أكثر من هذا، وتقاولنا نحن وإياه، فلما عَرَفَ الشيخ ذلك قال لنا: خذوا الرأس وامشوا، وأنا أقف معه وأرضيه. فتقدَّمنا نحن، وبقي شيخنا يتحدَّث معه ويطيّب قلبه، فلما أبعدنا قليلاً تركه وتبعنا، وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به، وهو لا يلتفت عليه، ولما لم يكلمه لحقه بغيظٍ، وجَذَبَ يده اليُسْرى، وقال: أين تروح وتخليني؟ وإذا بيد الشيخ قد انخلعت من عند كتفه، وبقيت في يد التركماني ودمها يجري، فَبُهِتَ التركماني، وتحيَّر في أمره، ورمى اليد وخاف، فرجع الشيخ، وأخذ تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا، وبقي التركماني راجعاً وهو يلتفت إليه حتى غابَ عنه، ولما وصل الشيخ إلينا رأينا في يده اليمنى منديلاً لا غير.

قلت: ويحكى عنه مثل هذا أشياء كثيرة، والله أعلم بصحتها.

وله تصانيف، فمن ذلك كتاب «التنقيحات» في أُصول الفِقْه، وكتاب «التلويحات» وكتاب «الهياكل» وكتاب «حكمة الإشراق»، وله الرسالة المعروفة بـ «الغربة الغريبة» على مثال رسالة «الطير» لأبي علي ابن سينا، ورسالة «حي بن يقظان» لابنِ سينا أيضاً، وفيها بلاغةٌ تامة أشار فيها إلى حديث النفس، وما يتعلَّق بها على اصطلاح الحكماء.

ومن كلامه: الفكر في صورة قدسية، يتلطَّف بها طالبُ الأريحية، ونواحي القُدُس دار لا يطؤها القوم الجاهلون، وحَرَامٌ على الأجساد المُظْلمة أن تَلِجَ ملكوت السموات، فوحِّدِ الله وأنتَ بتعظيمه ملآن، واذكُرْه وأنتَ من ملابس الأكوان عُرْيان، ولو كان في الوجود شمسان لانْطَمَسَتِ الأركان، فأبى النِّظام أن يكون غير ما كان: [من الكامل]

فخفيتُ حتى قلتُ لستُ بظاهرٍ ... وظهرتُ من سَعَتي على الأكوانِ

آخر: [من الرمل]

لو علمنا أننا ما نلتقي ... لقضينا من سُلَيمى وَطَرا

اللهم خلِّصْ لطيفي من هذا العالم الكثيف.

وتنسب إليه أشعار، فمن ذلك ما قاله في النفس على مثال أبيات ابن سينا العينية، فقال هذا الحكيم: [من الكامل]

خَلَعَتْ هياكلها بجَرْعاء الحِمى ... وَصَبَتْ لمغناها القديم تشوقا
وتلفَّتَتْ نحو الدِّيار فشاقَها ... رَبْعٌ عَفَتْ أطلالُه فتمزَّقا
وقفتْ تُسائِلُهُ فردَّ جوابَها ... رَجْعُ الصَّدى أَنْ لا سبيل إلى اللِّقا
فكأنَّها بَرْقٌ تألَّقَ بالحِمى ... ثُمَّ انطوى فكأَنَّه ما أبرقا

وله في النَّظْم والنَّثْر أشياء لطيفة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها، وكان شافعيَّ المذهب، ويلقب بالمُؤَيَّد بالملكوت، وكان يُتَّهم بانحلالِ العقيدة والتعطيل، ويعتقد مذهب الحكماء المتقدِّمين، واشتهر ذلك عنه، فلما وَصَلَ إلى حلب أفتى علماؤها بإباحة قَتْله بسبب اعتقاده، وما ظَهَرَ لهم من سوء مَذْهبه، وكان أشدَّ الجماعة عليه الشيخان زين الدين ومجد الدين ابنا جَهْبل.

وقال الشيخ سيف الدين الآمِدي: اجتمعتُ بالسُّهْرَوَرْدِي في حلب، فقال لي: لابُدَّ أَنْ أملك الأرض. فقلتُ: من أين لك هذا؟ فقال: رأيتُ في المنام كأني شربتُ ماء البحر، فقلت: لعل يكون اشتهار العلم أو يناسب هذا، فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه، ورأيتُه كثيرَ العِلْم، قليل العقل، ويقال: إنه لما تحقَّق القتل كان كثيراً ما يُنْشد: [من الهزج]

أرى قدمي أراق دمي ... وهانَ دمي فهانَ نَدَمي

والأول مأخوذ من قول أبي الفَتْح علي بن محمد البُسْتي: [من الهزج]

إلى حَتْفي مشى قَدَمي أرى قَدَمي أراقَ دمي
فلا أنفكُّ من ندمٍ وليس بنافعي نَدَمي

وكان ذلك في دولة الظَّاهر بن السُّلْطان صلاح الدين رحمه الله، فحبسه، ثم خنقه بإشارة والده صلاح الدِّين، فكان ذلك في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمس مئة بقلعة حلب، وعمره ثمان وثلاثون سنة.

وذكر القاضي بهاء الدين المعروف بابن شَدَّاد قاضي حلب في أوائل سيرة صلاح الدين، وقد ذكر حُسْن عقيدته، وقال: كان كثيرَ التَّعظيم لشعائر الدِّين، وأطال الكلام في ذلك، ثم قال: ولقد أمر ولده صاحب حلب بقَتْلِ شابٍّ نشأ كان يقال له: السُّهْرَوَرْدِي، قيل عنه: إنه كان معانداً للشَّرائع، وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره، وعرف السُّلْطان به، فأمر بقَتْله، فقتله، وصلبه أياماً.

قال القاضي شمس الدين ابن خَلِّكان رحمه الله: وأقمتُ في حلب سنين للاشتغال بالعِلْم الشَّريف، ورأيتُ أهلها مختلفون في أمره، كلُّ واحدٍ يتكلَّم على قدر هَوَاه، فمنهم من ينسبه إلى الزَّنْدقة والإلحاد، ومنهم من يعتقد فيه الصَّلاح، وأَنَّه من أهل الكرامات، ويقولون: ظَهَرَ لهم بعد قتله ما يشهد له بذلك، وأكثر النَّاس على أَنَّه كان مُلْحداً لا يعتقد شيئاً، نسأل الله تعالى العفو والعافية، والمعافاة الدَّائمة في الدِّين والدنيا والآخرة، وأن يتوفَّانا على مذهب الحق والرَّشاد[1].

الصَّفي بن نصر الله ابن القابض[2]

كان قد خدم السُّلْطان لما كان في شِحنكية دمشق، وأمدَّه بالمال، فرأى له ذلك، فلما ملك استوزره، وكان شجاعاً ثِقَةً، دَيِّناً أميناً، ولما نزل الفرنج داريا والسُّلْطان في الشرق جَمَعَ من أهل دمشق سواداً عظيماً، وخرج إلى ظاهر البلد، فرآهم، فظنوهم عسكراً، فرحلوا.

---

(١) انظر النقل بطوله في «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٦٩ـ٢٧٣ .

(٢) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وانظر «كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٩٢ .

وكان كثيرَ المعروف، وكَتَبَ أملاكه لمماليكه لأنه لم يكن له ولد، وبنى بالعُقَيْبة مسجداً، ودُفِنَ به في رجب، ويعرف اليوم بمسجد الصَّفي.

النجم الخُبُوشاني[١]

قدم الدِّيار المِصْرية، وأظهر الناموس، وتزهَّد، وكان يركب الحمار، وآنية بيته كلها خزف، فنفق على السُّلْطان وأهله، وأعطاه السُّلْطان مالاً، فبنى به المدرسة التي إلى جانب الشَّافعي رحمة الله عليه، وكان كثير الفِتَن منذ دخل مِصْر إلى أن مات، ما زالت الفتن قائمةً بينه وبين الحنابلة وابن الصَّابوني وزين الدين بن نُجَيَّة، يكفرونه ويكفرهم، وكان طائشاً متهوراً، نبَشَ ابن الكِيْزَاني[٢]، وأخرج عظامه من عند الشَّافعي رحمة الله عليه، [وقد ذكرناه][٣]، وكان يصوم ويفطر على خبز الشَّعير، فلما مات وجدوا له ألوف دنانير، وبلغ صلاح الدين، فقال: يا خيبة المسعى. وكان يبعث إليه بالصَّدقات، فيأخذها لنفسه.

ولما توجَّه سيفُ الإسلام إلى اليمن جاء إليه يودِّعه ويستقضي حوائجه، فقال له الخُبُوشاني: لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: تضرب رقبةَ كلِّ مَنْ في المدينة ومكة، وتأخذ أموالهم، وتسبي نساءهم، وقد أبحتُ لك ذلك. فقام سيفُ الإسلام من عنده، وهو يسبُّه، ويقول: انظروا إلى هذا الرَّقيع، يُبيح دماءَ جيران الله، ودماءَ أهلِ بيت رسول الله ﷺ!

وكانت وفاته في صفر، وسكنتِ الفتن، واصطلح النَّاس، وقالوا: هذا فتوح ثاني، وكان سيِّءَ الأخلاق، قبيحَ العِشْرة، وولي بعده تدريس مدرسة الشَّافعي شيخ الشيوخ صدر الدين بن حَمُّويه، [فأحسن التدبير والأمور][٣].

---

(١) هو أبو البركات محمد بن موفق بن سعيد الخبوشاني، نجم الدين، وله ترجمة في «الفتح القسي»: ٥٧٧، و«رحلة ابن جبير»: ٤٨، و«التكملة» للمنذري: ١/ ١٦١ـ١٦٢، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٩٣ـ٢٩٤، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٣٩ـ٢٤٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٠٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمة ابن الكيزاني في وفيات سنة (٥٦٢هـ).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).